

أثر وآثار المرأة في كتابة تاريخ البشرية

وتاريخ الجزائر.

أ.حسيبة صفريون

معهد الآثار

تشاء الأقدار لآدم أن يترك موطنه الجنة بتأثير من خليلته حواء، إذا المرأة هي أول مؤثر في مسار تاريخ البشرية، و تشاء الأقدار كذلك أن يكون أول هيكل شبه كَلِّي للإنسان الحفري يعود لأنثى كذلك و هي لوسي، و من مصادفات القدر أن يتم اكتشاف أقدم و أجمل التعبيرات الفنية البشرية لتحكي على الأنثى.

هي الفينوسات الأوروبية الرائعة كمنحوتة سيدة براسنبوي مع أقدم النقوش الصخرية في شمال أفريقيا و التي عثر عليها بمصر في موقع كورته و هي كذلك مثلت الأنثى ثم ماذا عن نقوش نيولا دوا العملاقة ثم نفرتيتي و قبلها حتشبسوت و بعدها آسيا زوجة فرعون مريم العذراء و خديجة بنت خويلد و ذات النطاقين و خولة بنت الأزور، هي كلها شخصيات حكى عنها التاريخ و ما قبل التاريخ و الأثرولوجيا، ثم ماذا عن سيدات الجزائر، من هي يا ترى سيدة تغنيف و أونثيا و تين هينان و الكهينة و لالا خداج العمياء و نفيسة و لالا فاطمة نسومر، جازية و حيزية، جميلة بوحيرد و حسيبة بن بوعلي، و ماذا عن الأخريات؟

أثر وآثار المرأة في كتابة تاريخ البشرية :

لوسي أيتها الرائعة !



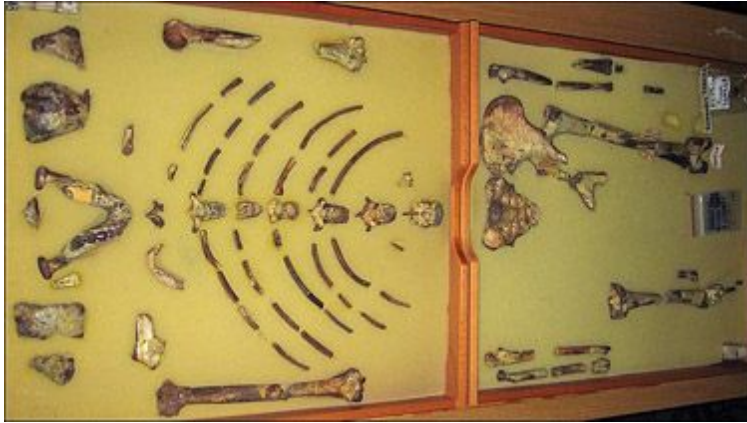
صورة رقم 1 : لوسي بعد إعادة تشكيلها

في أحد الأيام من شهر نوفمبر 1974 وعلى أحد ضفاف نهر الأواش بهدار في أثيوبيا، ستعثر مجموعة من الباحثين الدوليين ومن بينهم إيف كوينز، دونالد جونسون وموريس الطيب على أقدم هيكل لأشباه البشريّات آنذاك، كان عبارة عن 52 قطعة

عظميّة (فك، بعض قطع الجمجمة، قطع من الحوض و الفخذ)، أي ما يعادل 40% من الهيكل العظمي لأنثى، وفي المخيم كان الجميع يجلس حول تلك العظام الثمينة ويستمتع لإحدى الأغاني الشهيرة لفرقة البيتلز (Lucy in the sky with Diamonds) فأصبحت عظام هذا الهيكل تلقب بلوسي (Musée de l'Homme, 1976 :82)

هي أنثى إذن، عاشت بين 3 و4 مليون سنة، عمرها حوالي 20 سنة قامتها بين 1,1 و1,2م، تزن حوالي 25 كغ، كانت تتمتع باستقامة نسبية إذ مازالت تمارس التسلق (bilocomotrice) هذا ما يترجمه انحناء ظهرها وتسطح عظام أقدامها ويعتقد بأنها قد ماتت غرقا لعدم تفرق عظامها، لقد لاقت لوسي صدًا إعلاميًا واسعًا في العالم ورواجًا لامثيل لهما، إذ كان يعتقد في ذلك الوقت بأن هذا الهيكل قد يعود لفصيلة أوسترلوبيتكوس أفرانسييس وهو يمثل أحد الأجداد القدامى لفصيلة الإنسان.

حاليًا لوسي تنتمي إلى عائلة أوسترلوبيتكوس أفرانسييس أو أوسترلوبيتكوس هدار وهي إحدى العائلات الفرعية البعيدة كل البعد عن سلالة الإنسان.



صورة رقم 2: بقايا عظام لوسي

بين 10 و8 مليون سنة حدث افتراق فصيلة القردة عن البشريّات والذي تمكّن إيف كوينز من تمثيله على شجرة هذه السلالات وجعل لوسي زهرة جميلة عليها، فلا عجب أن يطلق عليها أهالي هدار عبارة : " أيتها الرائعة" .. (Coppens ,Y et

Picq,P.2001 :220)

سيدة براسمبوي : أقدم تمثيل لوجه بشري:

سيدة براسمبوي أو آلهة براسمبوي La Vénus de Brassempouy أو السيدة ذات الرداء

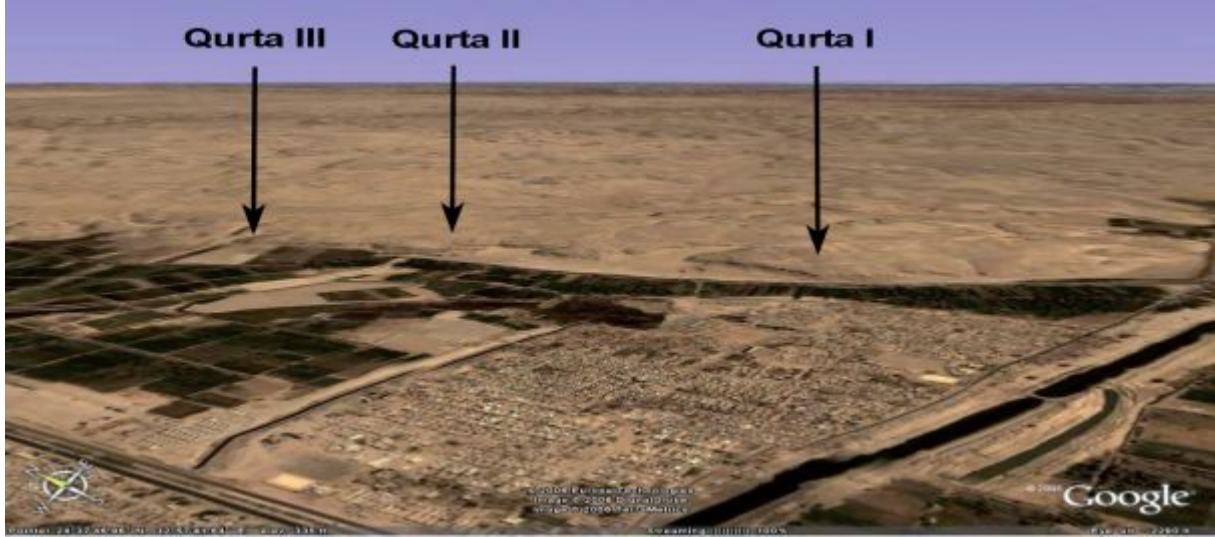


صورة رقم 3: السيدة أو الإلهة براسمبوي

« la capuche » و هي عبارة عن الجزء العلوي لأنثى في شكل منحوتة عاجية أنجزت على قطعة من عاج الماموت لايتعدى علوها 4 سم! أرخت بالعصر الحجري القديم وتعود للحضارة الجرافيتية (Gravettien) بين 29 و22 ألف ق.ح، وتعتبر إحدى أقدم التظاهرات الفنية في العالم التي علّم فيها وجه الإنسان. للعلم فإن هذه المنحوتة قد وجدت في بلدة لاند Landes جنوب غرب فرنسا. (Picq, P.2003 :39)

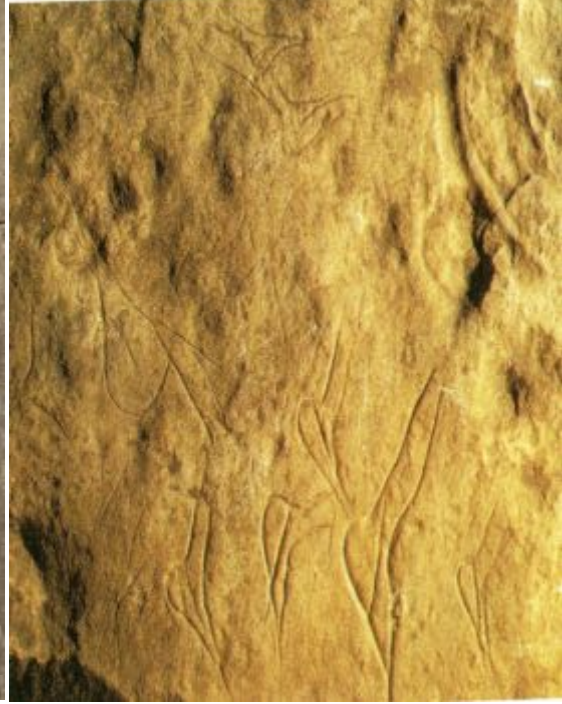
كورته : حكاية تبادل ثقافي قديم.

يعتبر موقع كورته بصعيد مصر من أقدم المواقع للفن الصخري بشمال إفريقيا حاليًا، وقد عثر عليه بين شهري فيفري ومارس من سنة 2007، إذ قامت مجموعة من الباحثين الأجبيين بتمشيط شرق قرية كورته للعثور على ثلاثة مواقع سميت بـ: Qurta I, Qurta II, Qurta III تحتوي على آثار لفنون صخرية تمثلت في 180 نقشا صخريًا على لوحات قرانيتية مكشوفة مثلت معظمها حيوانات



صورة رقم 4: مواقع كورته بصعيد مصر

مثل البقاريات، العصافير وفرس النهر والغزلان والأسماك وبعض الحيوانات الخيالية إلى جانب الأيائل الجاموسية ، (Huyge,D.2011 :23)، فإلى جانب هذه التمثيلات الحيوانية، هناك تمثيلات بشرية جدّ أسلوبية très stylisée ، هي عبارة عن أشكال خطية لأشكال بشرية دون رأس قد تصوّر إناثًا تعرّفنا عن جسمها من خلال أردافها البارزة -أي هناك توضع ذهني ردي- والتي ستظهر جانبيًا وبوضوح، الزنجرة تظهر داكنة ما يوحي بقدم هذه النقوش التي تمّ مؤخرًا تأريخها بأكثر من 15 ألف سنة من طرف فرقة بحث بلجيكية - أسترالية بالطريقة الرائدة المسماة OSL ، وما يثير الإنتباه في هذه النقوش هي وجود أشكال مشابهة لها تماما كان قد تمّ العثور عليها سابقا في أوروبا وأطلق عليها اسم "الإناث بدون رأس" وهي تعود للبالوليتي الأعلى. اليوم نقوش كورته قد تأكد من رجوعها للعهد البالوليتي كذلك



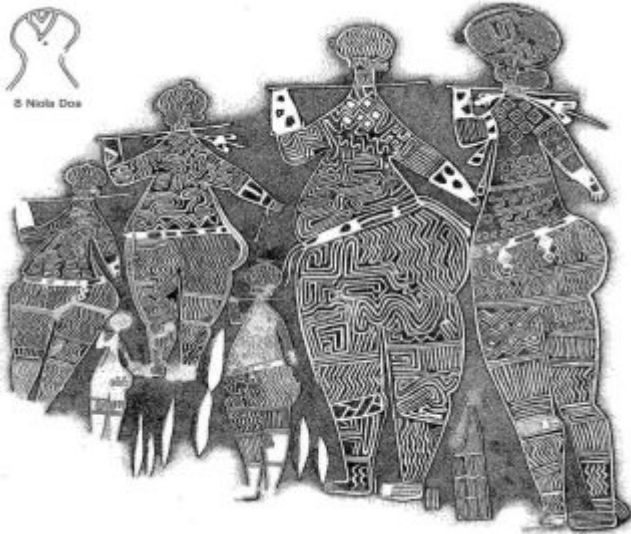
صورة رقم 6: نساء كورته بصعيد مصر

صورة رقم 5: نساء بدون رأس بمنطقة لاند

خصوصا وأن بحوثا في الستينات بالقرب من هذا الموقع (حوالي 150م فقط) قد تمّ العثور فيه على موقع سكني بدائي يعود لنهاية البلايستوسان. لكنّ الغريب في كل هذا الأمر هو العثور على شبيهاتها في أوربا زمنيا ونوعيا ! فهل يمكن الحديث عن تبادل ثقافي بين مصر وأوربا في ذلك العهد؟!

(Huyge,D et Wouter,C.2012: 39) يبقى أن نعرف بأن الفن الصخري في شمال إفريقيا قد كتب

صفحة جديدة باكتشاف تلك النقوش الرائعة لسيدات كورته القديمت.



شكل رقم 1: سيدات نيولا دوا في الإندي - التشاد

و أثناء الحديث عن ذلك التبادل الثقافي ستستوقفنا كذلك سيدات نيولادوا Niola Doa بالإندي في التشاد، هي عبارة عن نقوش لمجموعة من الإناث جاءت في شكل يذكّرنا بأشكال الفينوسات الأوربية تظهر مزينة بخطوط ونقاط وكأنّها توشيمات جسمانية، نقوش في شكل فينوسات يجعلنا نبحث عن بعدها الثقافي الذي ربطه مؤخرا مجموعة من

العلماء أمثال توفرون وشتخيتز وسوليهافو برسوم مرحلة الرؤوس المستديرة، لتمثل وجه آخر لهذه الرسوم في أقصى الصحراء الوسطى. (Soleilhavoup, F. 2007 :227)

بذلك يبدو بأن الفينوسات كانت تمثل وجهها ثقافياً معهودا في الفن الصخري الصحراوي إذ نجدها و منذ رسوم تامريت بالطاسيلي الناجر لتتواصل حتى مرحلة متأخرة إذ تم العثور ضمن الأثاث الجنائزي في ضريح الملكة تين هنان في أبالسة بالأهقار على فينوسة جسيمة مشابهة و هذا ما سنراه لاحقا.

قد يطول الحديث عن نساء العالم اللاتي تركن وراءهن أثرا وآثارا في التاريخ و الخوض في الحديث عنها قد يستدعي الكثير من الحبر و الوقت، لكن ماذا عنا نحن نساء الجزائر؟

أثر وآثار المرأة في كتابة تاريخ وما قبل تاريخ الجزائر:

إن أثر وآثار الجزائريات في كتابة تاريخ وما قبل تاريخ بلادها يعدّ موضوعا شيقا ومتشعبا لكثرة دور هته النسوة في صنع الأحداث. تبدأ الحكاية مع سيدة تيغنيف وتنتهي عند جميلة بوحيرد والأخريات وكم هنّ كثيرات هته الأخريات.

سيدة تيغنيف :

تقع مدينة تيغنيف أو باليكاو على بعد 70 كم شرق مدينة معسكر و هي تتدرج ضمن تكوينات الزمن الجيولوجي الرابع للغريس التابعة لمرتفعات سعيدة والتكوينات النلية الكريستاسية لبني شقران و هي تعود

للزمن الجيولوجي III.

بدأت شهرة تيغنيف لأبحاث أرمبورغ والتي تمت بين 1954-1956 أين تم التعرف على بقايا بشرية تعدّ الأقدم في الجزائر وهي عبارة عن 3 فكوك، قطعة صدغية وبعض الأسنان المنقرقة.

ومن بين تلك الفكوك ،هناك واحد يرجع لجنس الأنثى، لتصبح تمثل واحدة من أقدم البقايا البشرية التي عثر عليها



صورة رقم 7: الفك السفلي رقم II لسيدة تيغنيف
المعسكر - الجزائر

ولحد الآن في الجزائر وشمال إفريقيا. (Muse de l'Homme, 1976 :116)

وسيدة تيغنيف تكون قد حملت آنذاك تسمية *L'atlanthropus mauritanicus* حيث ربطت خصائصها المرفولوجية و البيومترية بأشباهاها الآسيوية وهي *Pithecanthropus*، و *Sinanthropus asiaticus*¹، لكن أحدث الدراسات جاءت بعدها لتتفي كل هذا إذ تغيرت تسمية هذه البقايا إلى *Homo erectus atlanthropus* أو ما يعرف بالإنسان المعتدل الأطلسي المنتمي إلى إنسان ارقستر الإفريقي ليصير الأقدم في الجزائر وشمال إفريقيا هذه الخصائص تتلخص في ارتفاع وعرض الفروع المرتفعة لل فك ، كبر سمك الكتلة الفكية، شكل الدقن، كما أن المجموعة السنية تكون قد حملت ميزات وخصائص تشريحية محلية تجعل هذه الفصيلة تختلف تماما عن بقايا الفصائل الأخرى².

(Hadjuois, Dj.2007 :153)

أشهر نساء الطاسيلي ناجر:

لم يعرف العالم روائع الطاسيلي إلا بعد ذلك المعرض الكبير والذي خصت به في متحف اللوفر سنة 1958، وكان نتاج رائع لحملات هنري لوت في المنطقة و سنوات من البحث و الاستكشافات. ومن روائع المشاهد التي سافرت آنذاك إلى عاصمة الجن والملائكة كان مشهد السيدة البيضاء لأونهارت وهي امرأة ذات ملامح رفيعة تحمل قرونا و توشيمات على كامل جسدها تظهر وكأنها تجري هاربة من شيء ما، ما جعل بروي يقرنها بالسيدة البيضاء الأوروبية ثم و من أشهر رسوم الطاسيلي نجد أوانس البول (les Peuls)، هنّ فتاتان أنيقتان تحمل ملامح شعب البول السمرء والرفيعة وهي ترتدي ملابس جدّ رائعة و وأنيقة السيدة المقنعة أو السوداء لصفار وجوزفين التي بيعت من طرف أخواتها، النساء المبتهلات أمام الإله الكبير والزائنة أنثينيا مع الكثير من المشاهد المثيرة والساحرة كخرجات الصيد والقنص الأنثوية، قطف الحبوب التنقل و الترحال الرعي ونصب والخيمة تربية الأطفال الرقص والرقص الطقسي هي مشاهد مازالت تسيل الكثير من الحبر وتفتن الألباب.

¹ Camps. (G), 1974- « Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, ed. Doin. p20.

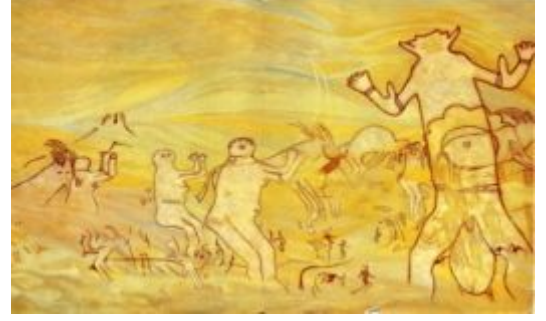
² Hadjuois (Dj), - L'atlanthrope et le gisement de Tighennif, dans « Le paléolithique inférieur en Algérie : Culture et environnements. Travaux de CNRPAH. Nouvelle série n°3



شكل رقم 4: الرائعة أنثينيا



شكل رقم 3: سيدة أونراحت



شكل رقم 2: نساء مبهلات أمام الإله الكبير
لصفار - طاسيلي الناجر

هي إذن مشاهد تصويرية تحكي حياة المجتمع اللّذي كان سائدا آنذاك وبكل تفاصيله رغم انعدام النصوص الكتابية، فإذا جئنا مثلا لنحاول التعرّف على دور ومكانة المرأة في المجتمع الطاسيلي أثناء المرحلة الكبلانية أي بين الألفية الأولى والثالثة قبل الميلاد يكفي العودة إلى مشاهد سيدات تمجّرت،



شكل رقم 5: إحدى سيدات واد جرات -
الطاسيلي الناجر



صورة رقم 8: سيدات تمجّرت بالطاسيلي
الناجر

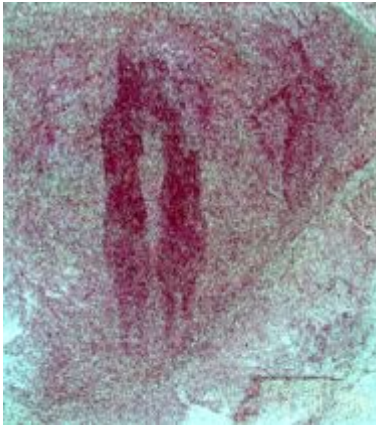
وإذا جئنا لنبحث عنها في كتاب ماقبل التاريخ في الألفية العاشرة أو قبلها علينا أن نرجع لروائع نقوش واد جرات، يبقى أن نعرف أنّه ومنذ أكثر من 10 آلاف سنة تمتعت المرأة الطاسيلية بمكانة رفيعة سياسيًا واجتماعيًا تجسّدت عبر مشاهد الفنّ الصخري يمكن أن نقرأها من خلال تلك النقوش والرسوم و بدون عناء، إذن ليس من الغريب أن نجد اليوم المرأة في هذا المجتمع الأمومي وقد مازلت تحافظ على نفس هذه المكانة، إنّها ميراث جدّاتها ومنذ ذلك الأزل البعيد.



صورة رقم 9: فينوسات واد تامريت
بالتاسيلي الناجر

و عند الحديث عن نساء الطاسيلي من خلال التظاهرات الفنية لابدّ أن يستوقفنا الحديث عند فينوسات تامريت، هي عبارة عن رسم لفينوستان متقابلتان تدلّ أحدث الدّراسات أنّهما عبارة عن سيّدتان شابتان (لا يتجاوز عمرهما 40 سنة) و تكونا قد عرفت الأمومة لأكثر من مرّة(أنجبت على الأقل مرّة) و هذا ما نقرأه

على جسدها من خلال التوضّعات الذهنيّة(صفيرون، ح.2008: 241)، ثمّ إنّ أحدث الدراسات والتي قمنا بها قد بيّنت بأنّ الرّفْع الذّي كان قد قام به لوت و هذا ما يبيّنه المشهد بعد معالجته بتقنيّة الديستريتش.(لاحظ الشكل). كما سنرى بأنّ هذا المفهوم الفنّي أي الفينوسات سيستمرّ وجوده حتّى لفترات متأخّرة من فجر التاريخ وحتّى الفترات التاريخيّة هذا الأمر سوف يتأكّد من خلال تلك الفينوسة الجصيّة و التي تمّ العثور عليها مع الأثاث الجنائزي في ضريح الأبالسة للملكة تين هنان كما سنرى لاحقا.



شكل رقم 6: فينوسات واد تامريت بعد
معالجتها بتقنيّة الديستريتش



صورة رقم 13: المرأة
الزنجية لصفار



صورة رقم 12: نساء
طاسليات أثناء الطلق



صورة رقم 11: الترحال
عند البوفديون



صورة رقم 10: مشهد
طقوسي لنساء جباران
بالتاسيلي الناجر

تين هنان، ملكة الصحراء وموعدة الساحل :

قدمت من تافيلالت مسقط رأسها جنوب شرق الأطلس المغربي ممتطيّة راحلتها و هي ناقة بيضاء متّجهة إلى منطقة الأهقار بجنوب الجزائر، سمّيت تين هينان وهي كلمة بلغة التماق تعني ناصبة الخيام لولوعها بالتنقل والترحال.



حكمت في القرن الخامس ميلادي (أي قبل دخول الإسلام إلى المنطقة والذي كان في القرن 7) ومازال الطوارق حتى الآن يسندون الحكم لامرأة.

وتحكي الأسطورة أنه خلال قدومها من المغرب كاد الجوع

صورة رقم 14: الهيكل العظمي لملكة الأبالسة تين هينان

والتعب أن يقضي عليها رفقة خدمها وعبيدها وفي لحظات صعبة تفتّنت خادمتها إلى قوافل النمل وهي حاملة الحبّ من

القمح والشعير فأمرت تين هنان بالسير في الاتجاه المعاكس لهذه القوافل إلى أن وصلت إلى منطقة الأهقار أين وجدت الأمن والماء وباقي مقومات الحياة.

وتحكي الأساطير أنها كانت ملكة تتمتع بقدر كبير من الجمال واستغلت هذا الأخير لتحكم المنطقة وتطبق عليها سياستها وهي من وحدت الصحراء الإفريقية الكبرى أو منطقة الساحل أي جنوب الجزائر



شكل رقم 7: مخطط لضريح الملكة تين هينان



صورة رقم 15: مجسم ضريح أبالسة بمتحف البارود

وليبيا وموريتانيا والنيجر ومالي والتشاد، وكانت تتمتع بدهاء وحنكة كبيرة في تثبيت سياستها والتحكم في زمام الأمور. كما كانت تتمتع بالشجاعة والمشاعر النبيلة. وهي صفات جعلت سكان المنطقة يجعلون منها ملكة، وعلى هذا الأساس نفهم سبب انتقال صفة

النّبل عن طريق النساء في المجتمع الطوارقي، حتى أن الأطفال في العائلات النبيلة ينسبون إلى أمهاتهم وليس آبائهم.

وتين هنان هي من أدخلت تقاليد جديدة على مجتمعها بسياسة التخزين والتّوفير لوقت الشدّة كمحاربة الغزاة أو سنون القحط.

وفي دراسة علمية حديثة أثبت أن هذه الملكة ربما كانت عرجاء، وأكد ذلك ما ورد في أذكار ابن خلدون الذي أشار إلى وجود ملكة كانت تحكم الرجال المثلثين أي الطوارق وكانت ربما عرجاء. أما ابنها الأكبر "هقار" الذي أطلق اسمه على المنطقة فهو أول من وضع اللثام على وجهه بعد العار الذي أصابه في خسارته لمعركة.(معطوي، ف، ز. 1984: 18).



صورة رقم 16: مدخل لضريح
تين هنان

عاشت تين هنان في القرن الخامس أي قبل وجود الإسلام تم العثور على هيكلها العظمي في ضريح أبالسة و كان قد أخضع إلى حفرة من طرف فرقة بحث أميركية-فرنسية سنة 1925 حيث ترقد الملكة رفقة حليها و كامل اثاثها الجنائزي. هذا الضريح يشبه ذلك الموجود بالمغرب الأقصى و هو ضريح سيدي سليمان في تافلات مسقط رأس الملكة تين هنان كما يشبه في عمارته معظم الأضرحة المعروفة في شمال أفريقيا و البحر المتوسط أثناء فجر التاريخ، كمدغاسن في باتنة و لجدار في فرنده بتيارت و قبر الرومية بتيبازة، و كل هذه الأضرحة تحمل مدخلا وحيدا يطل على الشرق.

إلى جانب هيكل تين هنان تم العثور على حليها الذهبية و الفضية و حتى الحديدية ، و كذلك مبخرة ، و



صورة رقم 17: فينوسة جصية
وجدت في ضريح تين هنان

ورقة ذهبية كانت قد ضربت على قطعة نقدية برونزية أرخت بين 308 و 324 م و هي تعاصر عهد قسطنطين الأكبر، إلى جانب فينوسة جصية جد هامة ، يبدو بأنها لم تحظى بدراسة علمية دقيقة لحد الآن ، يبقى أن نعرف بأن المفهوم الفني للفينوسة بقي معروفا حتى القرن

السابع بعد الميلاد في المجتمعات الصحراوية .

إنّ هذه المنحوتة مصنوعة من مادة الجص ، يصل إرتفاعها لبضع سنتيمترات فقط و هي تحمل ثقبا في جهتها العلوية ربما شكّل للتعليق و هي موجودة حاليا في متحف البارود تحت رقم تصنيف: cat.N°55) (Mahsas, H.1998 :74)



شكل رقم 8: لوحة للملكة تين
هينان للفنان زياني

تتمتع تين هنان بمكانة خاصة عند أهل الطوارق وتعتبر الملكة الشرعية،

الأم والجدة لإثنتا عشرة قبيلة من نبلاء الطوارق الحاليون. أما ضريح الأبالسة فهو الآن مازال شامخا يشهد على وجود ملكة وحدث الصحراء الوسطى وبلاد الساحل.

وإذا كانت سيدة تيغنيف ونساء الطاسيلي وتين هنان قد شغلت العالم بتميزهن في مرحلة ما قبل التاريخ، فإنّ هناك نساء أخريات قد شغلت العالم والباحثين والمفكرين في المرحلة التاريخية. هكذا إذن سنجد الجزائرية في كلّ مرة تصنع الحدث التاريخي مخفّة آثارا ستشهد عليها، نجدها تارة في الحكم وتارة أخرى في السياسة، مرة لها حكاية مع الجمال، وأخرى مع الحبّ ومرات عديدة مع الثورة !

ألم تحكم الكهينة أوديهيا أو دامية قبائل الجزائر لتطرد الروم والفاحين المسلمين؟ وألم تهوس لالا خداج العمياء بجمالها فعشقت وجهها حتى صارت ضريرة؟! وماذا عن لالا فاطمة نسومر التي فرّت من زوجها لتشتغل بالحرب والسياسة؟ وقبلها جازية الهلالية التي تركت زوجها و أولادها وضحت بالجميع لنصرة قبيلتها؟ ثم ماذا عن حيزية التي جرّت حبيبها سعيد ليسكن القبور معها، وكيف نجحت امرأتان مثل حسيبة بن بوعلي وجميلة بوحيرد في تدوين القضية الجزائرية وفعلت ما فشلت في فعله الدبلوماسية و لسنوات عندما جعلت تحوّل الرأى العام الدولي وتحوّل أنظار الدبلوماسية الدولية إليها، في الحقيقة ألم ترغب هاتين الأنستين المستعمر على الجلوس على طاولة المفاوضات؟.

لالا خداج العمياء، أو عندما تهوس المرأة بجمالها !

إذا كانت الكهينة ونسومر لم تترك أثارا ماديّة قويّة شاهدة عليها إلا أن خداج تركت قصرا رائعا ليسرد علينا حكايتها، وتقول الأسطورة أنّ خداج وهي تصغير لإسم خديجة في العاصمة، كانت سيّدة فائقة الجمال حتى صارت مهووسة به ، إذ جعلت تنفق الساعات الطوال أمام مرآتها تتكحل وترتدي لمرات عديدة ملابسها الفاخرة حتى تتملّى بحسنها فصارت ضريرة، بعدها يذكر التاريخ أن أبوها الخزناجي "



صورة رقم 18: إحدى واجهات قصر خداج العمياء

حسن باشا" أو ما يعادل وزير التجارة اليوم، كان قد اشترى لها قصرا بأسفل القصبة، وهو يعرف اليوم بقصر خداج العمياء وهو إحدى الروائع المعماريّة العثمانية بالجزائر وأهداه لها وكان ذلك في القرن 16 عشر، بعد وفاة خداج انتقلت ملكيّة هذا القصر إلى أشقائها، سنة 1783 سيستأجره تاجر يهودي يدعى "ميشل كوهين بكري" ويعد من الأثرياء كان قد قدم من مدينة جينوا الإيطالية

ليستقر بالقصبة، وبعد دخول الجيوش الإستعمارية، استولت مباشرة على القصر ليصبح أول بلدية فرنسية بالجزائر، بعدها سيحوّل ومنذ سنة 1860 إلى مقام للملك نابليون الثالث وزوجته أوجيني اللذان فتنا بهذه



الجوهرة المعمارية، فكانا يحطّان به كلّما قدما في زيارة إلى العاصمة، سنة 1947 يتحوّل القصر إلى

مصلحة تقنية للحرف التقليدية، ومنذ 1961 صار متحفا خاصا بالفنون والتقاليد الشعبية. (مدونة كامل الشيرازي)

ودون الخوض في روائع الخصائص المعمارية

صورة رقم 19: إحدى غرف قصر خداج العمياء

التي يحملها هذا القصر البهيج كالسقيفة والأعمدة والزليج والقبب والأقواس المذهبة (لأنّها ليست من

اختصاصنا)، يبقى أن نعرف بأنّ هذا القصر كان قد شيّد في مكان يدعى " سوق الجمعة" بالقصبة السفلى عام 1570م من طرف أحد ضبّاط البحريّة السّاميين ويدعى " الرّئيس يحي" وقد تم تشييده على أنقاض زاوية وضريح "سيدي أحمد بن علي". ثم إن هذه الدار التي بناها الرئيس يحي لم تحمل خصائص القصر قط إلا بعد أن اشتراها الخزناجي حسن باشا الذي أدخل عليها تعديلات وتغييرات وزاد في توسيعها لتصبح قصرا من ثلاثة طوابق هو الآن بمثابة لؤلؤة معمارية نفخر بها كثرات معماري عثماني وتراث إسلام، لكن يبقى اسمه وجماله مقرونا ولأزل بالحسنة لالا خداج العمياء و هو رمزا لجمال الجزائرية وأناقتها الفائقة.

هي الجزائرية إذن عندما تعتنق الأنوثة و تهوس بجمالها ،لكن ماذا عن الجزائرية لما تسلب الأنظار وتفتن الأبصار وتسكن العقول حتى ينسى ذلك الرجل أمّه وأبيه، أهله وبنيه ،موطنه وعشيرته التي تأويه؟¹

حيزيّة ، ملحمة حبّ بدوي:

هي قصة حبّ بدويّة حدثت في القرن التاسع عشر في بلدة سيدي خالد التابعة لولاية بسكرة جنوب شرق الجزائر، فإذا كان الغرب يعرف روميو وجوليت والعرب عنتر وعبله فعندنا نحن حيزيّة وسعيد، ويؤكد المؤرخون أن حيزيّة هي أميرة تنتمي إلى عرش الأمير علي بن صخري أحد فروع عرش الذواودة الذي

¹ مدونة عزمي عبد الله محمود عمران

مدونة كامل الشيرازي C:\Users\Administrateur\Desktop\

كان أمير عرش " الزاب" منذ عام 1496م (أحمد بن المبارك بن العطار، 1998: 22). والأسطورة تقول بأنّ حيزيّة وابن عمّها سعيد تحابا حبّا عفيفا طاهرا وقويا إلى درجة العشق فتزوّجا لكن الموت فرّق سريعا بينهما، بعدما مرضت حيزيّة مرضا خطيرا أسكنها القبر مباشرة، فذهب العاشق سعيد إلى الشّاعر محمد بن قيطون ليرثى حبيبته لعلّ تلك الأبيات ستطفئ شيئا من لهيب نيران عشقه المدفون فكتبها له الشّاعر سنة 1878 وهي سنة وفاتها¹، لكن رواية أخرى تقول بأن حيزيّة لم تتزوج أبدا من سعيد لأن والده رفض هذا الحبّ فماتت هي في صمت و تاه هو في الصّحراء. وبقيت قصيدة حيزيّة، أو عزّوني يا ملاح، مفخرة الشّعر البدوي ردّدها الكثير من المطربين وشعراء الملحون مثل عبد الحميد عباسية، رابح درياسة و خليفي احمد و البار عمر وغيرهم. ورغم جمال هذه القصيدة وروعيتها إلا أنّ شهرتها لم تخرج من نطاق المغرب العربي لصعوبة اللهجة الجزائرية حتّى جاء الشّاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة وألّف قصيدة مشابهة وهي من نوع الشّعر النّفعيلي الحرّ الحديث وباللّغة العربيّة الفصحى وكان ذلك سنة 1986 وعنوانها : حيزيّة عاشقة من رذاذ الصّحراء²، في الحقيقة إنّ هذه القصيدة كانت من حيث المضمون تختلف عن سرديّة ابن القيطون في أسباب موت حيزيّة لكنّها ستخرج في نفس الوقت حيزيّة إلى الشهرة العربيّة والعالميّة. إذ يزعم المناصرة أن الشاعر ابن قيطون هو العاشق الحقيقي لحيزيّة وليس سعيد فأراد



الشّاعر أن يروّج للحكاية للتغطية على أسباب عشائريّة.

حيزيّة أميرة الزيبان عاشت 23 عاما فقط، غادرت الدنيا وهي في ريعان شبابها تاركة واحدة من أروع قصائد الحبّ في العالم، حبّ على الطّريقة البدويّة، الصحراويّة، الجزائريّة.

شكل رقم 9 و 10: سيدات تبدييات من الصحراء الجزائرية

لوحتين للرسم العالمي دينيه

في رايس لبنات

عزّوني يا ملاح³

ناري مقديا

سكنت تحت اللحد

¹ - أحمد بن المبارك بن العطار : تاريخ قسنطينة

² - عز الدين المناصرة : حيزية : عاشقة من رذاذ الواحات، دار بهاء الدين. 1986. قسنطينة

³ - مجلة آمال، عدد 4، ديسمبر 1969. الجزائر